تحقيق عن ندوة الحضارة الإسلامية

فى ذكرى المرحوم الأستاذ الدكتور أحمد فكرى (*)

بقلم

الأستاذ الدكتور / عبد المنعم ماجد

رئيس قسم التاريخ ، بكلية الآداب

بجامعة عين شمس

هذه الندوة فى ذكرى المرحوم الأستاذ الدكتور أحمد فكرى ، هى من باب الوفاء له كعالم له مقداره ، وأستاذ له حقوق على تلامذته ، ورائد من رواد علماء التاريخ الإسلامى ، الذين تربوا تربية حديثة ، جعلتهم ينقلون إلى بلادهم منهجاً حديثاً من مناهج علوم أوربا المتطورة ، هو منهج علم التاريخ الإسلامى .

حقاً إن العرب كانت لهم اليد الفضلى على هذا العلم ، الذى إزدهر على

(*) جرت العادة بنشر أنباء المؤتمرات والندوات العلمية فى القسم المخصص لها بالمجلة ، ولكن نظراً ، لمكانة المرحوم الأستاذ الدكتور أحمد فكرى العلمية ننشر هذا التحقيق عن ندوة الحضارة التى أقامتها جامعة الاسكندرية بمناسبة ذكرى وفاته الأولى .

أيديهم ؛ بحيث لا يقارن تطوره عندهم - وحتى عدد المؤرخين الذين شغفوا به وتخصصوا له - بما كان يوجد قبلهم ، فهم الذين درسوه بجدية حينما أضافوا إليه السند أو الأسانيد ؛ وهى أشبه بالتهميش فى وقتنا ؛ كما أنهم هم الذين دعوا إلى تحرى الحقيقة التاريخية فى ذاتهـــا ، وليس فقط إستيعابها ؛ بحيث أن ابن خلدون - المؤرخ الحصيف — كان أول من أوجد نظرية لتفسير التاريخ ، سبق بها ما عرف فى وقتنا بفلسفة التاريخ .

ولكن هذا العلم تدهور عند المسلمين ؛ بسبب تدهور أحوالهم السياسية ووقوعهم فى براثن الإستعمار ، ولم تظهر له نهضة إلا من عهد قريب جداً ؛ حينما بدأت مصر ترسل بعثات إلى أوربا ، فى التاريخ الإسلامى ، مثلما أرسلتهم فى علوم أخرى ؛ على أساس أن يتعلموا المنهجية قبل كل شىء . حقاً إن مصر هى مركز الثقل الإسلامى ، إلا أن التاريخ فيها كان يعالج بنفس الطريقة التى يتناول بها فى العصور الوسطى ؛ دون نظر إلى تطوره فى أوربا ، مثلما تطورت بقية العلوم . . وقد أرسل الدكتور المرحوم أحمد فكرى ، إلى باريس قبل الحرب العالمية الثانية ؛ ليدرس فيها منهجية علم الفنون الإسلامية الشائخ ؛ فاختار رسالته فى موضوع : المؤثرات الإسلامية على الفن المسيحى ، فى بعض مقاطعات وسط فرنسا ، مع دراسة تفصيلية لمسجد القيروان الجامع — أى المسجد الرئيسى — الذى اعتبر بناؤه مؤثراً فى الفن المعمارى ، سيما فى المغرب والأندلس ، فكان للدكتور أحمد فكرى فضل السبق بربط الحاضر بالماضى ، ومنذ ذاك وقد بدأت تنتشر مدرسته فى الاهتمام بآثار الإسلام ، سيما فى مصر ، ظهر أثرها فى موسوعته الأثرية عن مساجـــد مصر ومدارسها فى ثلاثة أجزاء ، هى : المدخل ، والعصر الفاطمى ، والعصر الأيوبى .

كذلك كان للدكتور أحمد فكرى أنشطة متعددة أخرى ، تتعلق بدراسة

التراث الإسلامى ، منها تصويره لكنوز مخطوطات متعددة ، بعضها فى دير كاترين بسيناء ؛ وإنشائه معملا لصنع الخزف على الطريقة الإسلامية ؛ هذا فضلا عن أنه شرف مصر بمحاضراته القيمة فى جامعات العالم المختلفة ، سيما السربون ؛ حيث حضرت له إحداها ، حضرها أكثر من ألفى شخص ؛ كما مثل مصر فى هيئة اليونسكو مدة طويلة .

* * *

وقد دعى علماء من جامعات مصر والعالم العربى ، لإحياء الذكرى السنوية الأولى لوفاته ، فى شكل ندوة أختير لها عنواناً هو : « الحضارة الاسلامية » ، تبنتها كلية الآداب ، بجامعة الاسكندرية ، بقصد جمع الأبحاث التى تلقى فيها ، كى تطبع فى كتاب يهدى إلى ذكراه ، وقد افتتحت الندوة بآيات من القرآن الكريم ؛ وكلمات من عميد كلية الآداب ، ورئيس الجامعة ، ومحافظ الاسكندرية ؛ تتضمن الوفاء السكندرى نحو ابن من أخلص أبنائها ، أما جلسات الندوة فقد كانت صباحية ومسائية .

وتتبين أهمية الأبحاث التى ألقيت فى هذه الندوة - على مدى خمسة أيام - من عناوينها الآتية : المؤثرات الاسلامية فى الفن الرومانسكى فى أوربا الغربية كما نراها فى أعمال الدكتور أحمد فكرى ، الحضارة العربية الاسلامية عند ملتقى الطرق ، المدارس الاسلامية فى العصر العباسى وأثرها فى تطور العلم ، واللقاء الحضارى بين حضارتين وأثر الحضارة الاسلامية فى أوربا الغربية ، نظام المواطنة فى الاسلام ومنجزاته للحضارة العربية ، العمران نظرية لابن خلدون فى تفسير التاريخ ، جماليات الفن الاسلامى بين الدين والمد الحضارى ، مظاهر الحضارة فى بنيان المسجد الجامع بقرطبة ، دور المغاربة فى الحروب الصليبية فى المشرق العربى ، القيم الجمالية فى الخط العربى ، روايات تاريخية

متأخرة عن هجرة الفينيقيين إلى مصر ، مدينة عمان الأردنية فى التاريخ الاسلامى الوسيط .

فمثلا البحث عن المؤثرات الاســـلامية على الفن المسيحى المعروف بالرومانسكى ، فى أوربا الغربية كما نرى فى أعمال الدكتور أحمد فكرى ؛ شدّت الإنتباه لاستهدافها بيان التأثير المتبادل بين حضارات الشعوب ، سيما فى القرن العاشر الميلادى إلى القرن الثانى عشر ؛ حيث أن الفن الرومانسكى المنسوب إلى الرومان ، لاقتباسه منه ؛ فقد أخذ مظاهر الفن الإسلامى ، من مقرنصات وعقـــود ونقوش مورقة وتلوين وخطوط ، وطوّرها لأغراض الكنيسة ، ظهر أثرها فى آثار وسط فرنسا وإيطاليا وصقلية واليونان وأسبانيا المسيحية ؛ مثلما أخذ الفنان المسلم عناصر بنائه من بيزنطة والقبط وغيرهما ، ونفث فيهما من روحه حتى أصبحت إسلامية .

والبحث الذى قُدم عن اللقاء الحضارى فى الأندلس ، وهى التى صارت موطناً للقاء طويل بين حضارتين ؛ حضارة إسلامية عربية مشرقية من جانب ، وحضارة مسيحية لاتينية أوربية من جانب آخر ؛ مما كان له آثاره فى حياة أسبانيا وسيطها وحديثها ؛ وفى حياة أوربا ؛ اهتم على الخصوص بقضيه التأثير العكسى ، أى تأثير الحضارة المسيحية اللاتينية فى الأندلس العربية ؛ مما جعله بحثاً طريفاً للغاية .

والبحث عن مظاهر الأصالة فى بنيان المسجد الجامع بقرطبة ؛ الذى يعتبر من أروع العمارة الإسلامية والمسيحية على السواء فى العصور الوسطى ، متمثلة فيما تضمنته بنيته من إبتكارات معمارية ، وثروات زخرفية ، وازدواج عقود بلاطاته ، واستخدام الضلوع البارزة المتقاطعة فيما بينها ، كهيكل أساسى تقام عليه كسوة القباب ؛ مما كان له أثره فى معظم الكنائس والمساجد بعد ذلك .

أما بحثى عن: نظرية العمران لابن خلدون فى تفسير التاريخ ، حيث أوجد قواعد ومعايير جديدة فى فهم المجتمعات البشرية بعامة ، والإسلامية بخاصة ، فانها نابعة من مجتمعنا وتاريخنا الإسلامى ، من يعقلها تبعده عن نظريات حديثة فى تفسير التاريخ ، يحاول البعض اقتباسها ، سيما تلك النظرية المادية ؛ التى تفسر التاريخ على أساس الصراع بين الطبقات ؛ بينما الذى كان يحرك التاريخ الإسلامى — ولا يزال روح الدين والمجتمع الإسلامى نفسه ؛ ثم إن نظرية العمران عند ابن خلدون ، ليست نظرية متحجرة منغلقة محددة الحدود ؛ إنما هى نظرية قابلة للأخذ والإعطاء فيها مرونة وتفسيرات متعددة ، مما يجعلها دائماً سنداً لتفسير التاريخ الإسلامى فى وقتنا أو بعد وقتنا .

ومع ذلك ؛ فلنا الملاحظة عن تفسير الازدهار والتقدم عند ابن خلدون، أثارت نقاشاً حامياً بين الحاضرين لا نرى ما يراه ابن خلدون من أن للحضارة أعمار كالأشخاص ، وإنما بالأولى هى أسلوب لحل مشاكل الحياة ، ولذلك فمجيئها وذهابها بسبب تطور الحياة . يضاف إلى ذلك أن طبيعة الخلق أن يسهم البشر كل منهم بنصيب ، فى تقدم الحضارة البشرية ؛ فلا يستحوذ عليها جنس دون الآخرين ، فالنهاية هى للبداية لحضارة أخرى . ثم أليس الحضارة بتقدمها وتدهورها دليل جديد على أن الخير والشر من مستلزمات الإنسان ؛ فالتقدم دليل على عمله واجتهاده والتدهور دليل على تقصيره ، مما يدعوه إلى العمل من جديد . كذلك معنى وجود التدهور بعد التقدم ، أن العالم إلى آخر الكون سيمر بالازدهار ، وأن نهايته الانحلال ، وأن كل ما مر به من ازدهار وكأنه لم يكن ، وإن كنا نعرف بالإيمان أن ما فعلناه فى الدنيا هو زاد للآخرة ؛ مما سيبقى إلى الأبد كذكرى للجهاد الإنسانى .

وقد اختُتمت الندوة بتوصيات متعددة ؛ منها ضرورة مواصلة البحث

والكشف عن الأصالة فى الحضارة الإسلامية ؛ ونشر تراثها بإنشاء مركز دائم يكون مقره مدينة الاسكندرية ، تشرف عليه جامعتها ، هذا بالإضافة إلى ضرورة جمع الأبحاث التى لم ينته منها الدكتور أحمد فكرى فى حياته ؛ ثم ألقت الأستاذة الدكتورة درية فهمى ؛ رفيقة حياة صاحب الندوة ؛ ورئيسة قسم اللغة الفرنسية بجامعة الاسكندرية سابقاً ، كلمة مؤثرة عبرت فيها عن امتنانها للجامعة السكندرية ، وتلامذته الأبرار ؛ فكانت بحق مسك الختام لهذه الندوة .